تأخر نشوء الفكر القومي في أوروبا
دراسة تاريخية في الأسباب والمعوقات

The Delay in the Emergence of Nationalist Thought in Europe: A Historical Study of the Causes and Obstacles

أ.م.د. شفان محمد خالد

Shivan Mohammad Khalid Assistant. Prof. DR.

جامعة دهوك، كلية العلوم الانسانية

E-mail: Shivan.Khlid@uod.ac

الكلمات المفتاحية: أوروبا، الفكر، القومية، التاخر، أسباب.

Keywords: Europe, thought, nationalism, delay, reasons.

الملخص

يُعد الفكر القومي إحدى الظواهر الفكرية والسياسية الكبرى التي لعبت دورًا جوهريًا في تشكيل التاريخ الأوروبي الحديث. فقد برزت القومية كمفهوم فكري وسياسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مستندة إلى مجموعة من العوامل الثقافية والتاريخية التي أسهمت في بناء الهويات الوطنية وتشكيل الدول القومية. ومع ذلك، فإن ظهور هذا الفكر لم يكن سريعًا أو تلقائيًا، بل كان نتاجًا لسلسلة من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أثرت في المجتمعات الأوروبية على مدى قرون. فقد شكلت الكنيسة الكاثوليكية قوة دينية وسياسية مهيمنة، مما أدى إلى تأخير نشوء الشعور القومي لصالح الانتماء الديني، كما أسهم النظام الإقطاعي والهيمنة اللغوية للاتينية في إعاقة تشكل هوية قومية موحدة. بالإضافة إلى ذلك، كان لغياب الطبقة البرجوازية وضعف انتشار التعليم أثر بارز في تأخير ظهور الفكر القومي. وبذلك، فإن دراسة نشأة القومية الأوروبية تتطلب تحليلًا معمقًا للعوامل التي ساهمت في تأخرها، مع التركيز على الدور الذي لعبته التحولات السياسية والفكرية في تمهيد الطريق لظهور الدولة القومية الحديثة.

Abstract

Nationalist thought is considered one of the major intellectual and political phenomena that played a fundamental role in shaping modern European history. Nationalism emerged as an intellectual and political concept during the 19th and 20th centuries, based on a set of cultural and historical factors that contributed to the construction of national identities and the formation of nation-states. However, the emergence of this thought was neither rapid nor spontaneous; rather, it was the result of a series of social, economic, and political transformations that influenced European societies over centuries. The Catholic Church, as a dominant religious and political force, delayed the rise of a national consciousness in favor of religious affiliation, while the feudal system and the linguistic dominance of Latin hindered the formation of a unified national identity. Additionally, the absence of the bourgeoisie and the limited spread of education significantly delayed the emergence of nationalist thought. Therefore, studying the origins of European nationalism requires an in-depth analysis of the factors that contributed to its delay, with a focus on the role that political and intellectual transformations played in paving the way for the emergence of the modern nation-state.

المقدمة

يُعدّ الفكر القومي من أبرز التحولات الفكرية والسياسية التي شهدتها أوروبا في العصور الحديثة، وهو الفكر الذي يقوم على الاعتراف بوجود أمة ذات هوية موحدة ترتكز على اللغة والثقافة والتاريخ المشترك، وتسعى إلى تحقيق السيادة السياسية والاستقلال ،وأسهم في تشكيل الدول القومية. ومع ذلك، فإن ظهور هذا الفكر لم يكن مبكرًا، فإنها تأخرت في الظهور بسبب مجموعة من العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. إن دراسة أسباب هذا التأخر تُمكّن من فهم السياقات التاريخية التي حالت دون نشوء الوعي القومي في أوروبا خلال العصور الوسطى.

يسلط البحث الضوء على أسباب تأخر ظهور الفكر القومي في أوروبا، ومن أبرز أسباب هذا التأخر سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت توجّه ولاء الأفراد إلى السلطة الدينية العالمية، وليس إلى كيانات قومية محددة. كما أن قوة الإمبراطورية الرومانية المقدسة دعمت فكرة الوحدة المسيحية والإمبراطورية الجامعة، مما حال دون نشوء دول قومية مستقلة. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن هناك اهتمام واسع باللغات القومية، إذ كانت اللاتينية هي لغة الدين والثقافة الرسمية، مما أضعف الإحساس بالانتماء القومي، وإعاقة تطور الهويات القومي. كما ساهم النظام الإقطاعي في تفتيت المجتمع إلى ولاءات محلية ضيقة، ومنع نشوء طبقة بورجوازية قادرة على قيادة مشروع قومي. وانتشار الفقر والمجاعات زاد من تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مما جعل المجتمعات منشغلة بتأمين حاجاتها الأساسية بدلاً من التفكير في قضايا الهوية الوطنية.

اولاً : مفهوم القومية و الفكر القومي

يُعتبر الفكر القومي من أبرز التيارات الفكرية التي ظهرت في أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي شكلت معالم أوروبا الحديثة. وهو يعد حركة فكرية وسياسية تهدف إلى تعزيز فكرة الوحدة والهوية الوطنية. يشمل هذا الفكر تصوّر الأمة ككيان مشترك يتشارك أفراده في مجموعة من الخصائص الثقافية، اللغوية، والتاريخية التي تميزهم عن الآخرين. الفكر القومي لا يقتصر على مجرد الانتماء الجغرافي، بل يتعداه إلى إحساس عميق بالولاء والمشاركة في هوية ثقافية وحضارية واحدة، مما يشكل الأساس لبناء الدولة القومية الحديثة و أسهم في تحديد الهويات القومية (هوبسبام، ١٩٩٢، صفحة ١٥) .

اما القومية فيعرّف بأنها مجتمعات متخيلة حيث يشترك أفراد أمة معينة في إحساس جماعي بالهوية والانتماء رغم أنهم لا يتعرفون أو يلتقون مع بعضهم البعض بشكل مباشر. اي ان القومية تعتمد على التصور المشترك للفرد بأنهم جزء من جماعة أكبر، مما يشكل الهوية الوطنية رغم عدم التفاعل المباشر مع كافة أفراد الأمة (اندرسون، ٢٠١٤، صفحة ٤٣). كما هي

تعبير سياسي يعني شعور الناس بالانتماء جميعا الى أمة واحدة، و يشمل هذا الشعور كذلك الاحساس بالولاء للامة و الاعتزاز بثقافتها و تاريخها، و الرغبة في الاستقلال في الكثير من الحالات (ومبرج، ١٩٩٤، صفحة ١١).

ربط اندري لالاند مفهوم القومية من خلال تعريفها بان القومية هي جماعة موحدة اجتماعيا برابط متحد العرق أو قلة اتحاد حضاري، تراث تاريخي، تطلعات مشتركة، حتى وان كانت هذه الجماعة لا تشكل دولة. فهو يرى ان الامة او القومية جماعة موحدة برابط رئيسي من العرق ثم تلية مجموعة من الروابط الثانوية (لالاند، ٢٠٠١، صفحة ٢١). في حين صاغ الحصري نظريته في موضوع القومية بالقول "ان الاساس في تكوين الامة و بناء القومية هو وحدة اللغة و وحدة التاريخ ، اللغة تكون روح الامة و حياتها و التاريخ يكون ذاكرة الامة و شعورها " (الحصري، ١٩٨٥). بينما عرف الغزالي القومية على انها "الواقع التاريخي واللغوي و الثقافي العام لقوم من الاقوام " (الغزالي، د.ت، صفحة ٤١).

تجلت القومية في هذه الحقبة من خلال عدة عوامل، مثل وحدة اللغة ، التاريخ، الثقافة، الدين و مواجهة المصير المشترك. لعب ظهور اللغات المحلية دورًا أساسيًا في تعزيز الشعور بالانتماء بين المجتمعات، بينما ساهمت المعتقدات الدينية في تشكيل الهويات الجماعية. كما عملت العادات والتقاليد المحلية على تعزيز هذه الروابط، مما ساعد السكان على الشعور بالاتصال رغم التشرذم السياسي (ومبرج، ١٩٩٤، صفحة ١٢٢).

لم يظهر الفكر القومي الأوروبي بشكل سريع وأن تطوره لم يكن سلسًا، بل تأخر لعدة قرون، ويعود ذلك جزئيًا إلى الدور المركزي الذي لعبته الكنيسة الكاثوليكية في تشكيل الهوية الجماعية للمجتمعات الأوروبية.

ثانياً: الهوية الدينية مقابل الهوية القومية

في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث، لم تكن القومية كما نعرفها اليوم قد تشكلت بعد، بل كانت الكنيسة المسيحية تمثل الرابط الأساسي الذي يجمع الأوروبيين، كانت تُنظر إليها ليس فقط كمؤسسة دينية، بل أيضًا كقوة سياسية واجتماعية شكلت هوية الشعوب الأوروبية وجعلت الولاء الديني يتجاوز الولاء القومي. كما لم يكن مفهوم الدولة القومية واضحًا، وكان الانتماء الأساسي للناس يدور حول هويتهم الدينية كمسيحيين تحت سلطة البابا (إلياس، ١٩٨٥، صفحة ٥١) .

كانت الفكر الكنسي هي المنتشرة و المؤثر على نفوس ومشاعر الاوروبيين في العصور الوسطى. حسب المعتقدات المسيحية على الفرد ان يكون متربطا بالبابا و الكنيسة، لأنه ممثل الله على الارض، والفرد الذي يبتعد عن سلطان البابا و الكنيسة، فهو مذنب و عليه طلب الغفران

مهما. ادت هذا الحالة الى اقفال عقل الفرد الاوروبي و الابتعاد عن الفهم العلمي للحياة، لكي لا يقع في المعصـية و يتعرض للعقوبات الكنسـية. بهذا الشـكل كانت للكنيسـة سـلطة كبيرة على المجتمع الاوروبي ، وكانت لرجال الدين مكانة كبيرة لدى الملوك و الاباطرة. كانت العلاقة بين الدين والدولة وثيقة، حيث كانت الكنيسة هي الدولة والدولة هي الكنيسة، وفيها الجماعات الدينية والسياسية غير قابلة للتفريق . (عجيبة، ١٩٩١، صفحة ٦٣).

شكلت الكنيسة، من خلال سلطتها الدينية والسياسية، قوة موحدة تجاوزت الحدود القومية، مما أدى إلى طمس الانتماءات القومية وتعزيز الولاء لـ"المسيحية الجامعة (Christendom) " بدلاً من الولاء للدولة القومية. وعليه سـاهمت هيمنة الكنيسـة في تأخير ظهور الفكر القومي الأوروبي، سـواء من خلال تأثير الكنيسـة الكاثوليكية أو من خلال التقاليد الدينية التي عززت مفاهيم تتجاوز الانتماء القومي (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٢٠).

تهيأ للكنيسـة في العصـور الوسـطى سـلطان واسـع النطاق، ممدود الرحاب، روحيا بحكم وظيفتها ، و سـياسـياَ بسـبب ضـعف الملوك و الاباطرة. وبهذا هيمنت الكنيسـة الكاثوليكية على المشهد السياسي والاقتصادي والاجتماعي الأوروبي، حيث كان الولاء للبابا والكنيسة يفوق الولاء للوطن أو الملك. الكنيسـة لم تكن مجرد مؤسـسـة دينية، بل يعتبر السـلطة العليا في أوروبا ، لها قوة سـياسـية تحدد شـرعية الحكام، وغالبًا ما كان يتدخل في شـؤون الملوك والأمراء (عجيبي، ٢٠٠٤، صـفحة ٤٣). انهيار الامبراطورية الرومانية في الغرب ٤٧٦م ادى الى ازدياد سـلطة الكنيسة و ارتفاع شأن البابا في اوروبا (ديورانت، ١٩٧٣، صفحة ١٦٧).

كانت السلطة البابوية فوق الملوك، وروجت الكنيسة لمبدأ أن الملوك يحكمون بمشيئة الله (الحق الإلهي للحكم)، مما جعل التشكيك في السلطات السياسية القائمة أمرًا محرمًا دينيًا ، وتم تحريم العصيان ضد السلطة الدينية ، كل هذا جعل السلطة السياسية خاضعة لتوجيهات الكنيسة، واصبحت البابوية قوة عابرة للحدود (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٢١).

عززت الكنيسـة فكرة أن جميع المسـيحيين يشـكلون كيانًا واحدًا، و تُعتبر أوروبا كيانًا موحدًا ومجتمعًا واحدًا تحت قيادة البابا، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو اللغوية، مما جعل فكرة الأمة القومية المستقلة تبدو أقل أهمية وغير ضرورية بل وحتى غير مشروع. بالمقابل قدمت الكنيسـة هوية دينية موحدة. اعتبرت العقيدة المسـيحية أن جميع المسـيحيين جزء من جماعة واحدة، مما أدى إلى خلق الروابط الدينية المشـتركة وإضـعاف وتجاوز الانقسـامات والهويات القومية الضـيقة، حيث كان الولاء للطائفة الدينية ، بدلا من الولاء للوطن، مما جعل الانقسـام داخل المجتمعات على أسس دينية أكثر من كونها قومية. وهكذا كان الدين يتعلق بالمجتمع ككل وليس بالفرد (زهرة، ١٩٧٧، صفحة ١٢٣).

تمكن رجال الدين المسيحيين عن طريق اللغة اللاتينية كلغة للكنيسة ، السيطرة على الفرد الاوروبي، كدين للخلاص و قبول رضا البابا ممثل الله على الارض، هذا حسب نظرية المسيحية(الله واحد و ملك واحد) التي حكمت عن طريقها جميع اوروبا (عجيبة، ١٩٩١، صفحة ٧٦).

كانت اوروبا كلها تحت ظل نظام كنسي موحد ، تحكم من روما. قسمت الكنيسة البلاد الى ابرشيات، و الابرشيات الى اسقفيات، و الاسقفيات الى اديرة، و عهدت بإدارة الشؤون الدينية و الكنسية في كل منها الى رئيس روحاني من مرتبة خاصة (رئيس الاساقفة، اسقف، ابرش، كاهن)، وقررت للرؤساء المذكورين سلسلة مراتب، وتكونت بذلك منظمات و سلطات دينية في مختلف البلاد. بهذا الشكل تكونت شبكة من النظام الكنسي، وجميع الاتصالات كانت مع روما حيث مقر البابا و الكرادلة (الحصري ا.، ماهي القومية ابحاث ودراسات على ضوء الاحداث و النظريات، ١٩٨٥، صفحة ٧٨).

تركز الكنيسة على خلاص الأرواح ووحدة المسيحيين بدلًا من المصالح السياسية للدول، اذ اعتبرت أن خلاص الإنسان يعتمد على انتمائه للمجتمع المسيحي العالمي، وليس لمجموعة قومية محددة. مما جعل التفكير القومي يبدو ثانويًا أمام الالتزام الديني، وكان الفلاحون وعامة الشعب يرون الكنيسة كالمؤسسة الأكثر استقرارًا في حياتهم، حيث قدمت لهم التوجيه الديني، والرعاية الاجتماعية، والاقتصادية، والتعليم، مما جعلهم ينظرون إليها كهوية موحدة تفوق أي انتماء قومي (البهي، ١٩٧٨، صفحة ٤٣).

كما استخدم الكنيسة الدين لتبرير الحروب والصراعات الدينية، حيث تم تحفيز الشعوب الأوروبية على القتال تحت راية المسيحية بدلاً من راية الدول القومية (ابراهيم، د.ت، صفحة ١٤٢). كانت الحروب الصليبية مثالًا واضحًا على هذه الهوية الدينية المشتركة، ان دعوات الباباوات للحروب الصليبية عززت الشعور بالهوية المسيحية المشتركة ضد "الآخر" المسلمين والوثنيين (رانسيمان، ١٩٩٤، صفحة ٨١). الحروب الصليبية التي وجهت الاهتمام نحو الصراع الديني بدلًا من بناء الهويات القومية، و مما جعل الهوية الدينية أكثر أهمية من الانتماء القومي. مما أعاق نمو الشعور القومي الذي يتطلب هوية سياسية مستقلة عن السلطة الدينية (دوبراتشينسكي، اوروبا و المسيحية تمزق الكنيسة، ٢٠٠٧، صفحة ٤٦).

خلال العصور الوسطى، كانت الكنيسة والدولة مرتبطتين بالمصالح المشتركة، حيث كان كل منهما يخدم الآخر. مع مفهوم "الدولة المسيحية" في العصور الوسطى، كان أن تكون مواطنًا في الإمبراطورية الرومانية المقدسة يعني أن تكون عضوًا في الكنيسة، وكان أن تكون عضوًا في الكنيسة هو أساس عضويتك في الإمبراطورية. كان الدين مرتبطًا بالدولة وكان

متشـــابكًا مع هويتها الوطنية. لهذا الســـبب، كان أن تكون مخالفًا في الدين يعني أن تكون في صـــراع مع مصـــالح الدولة، كان يعني أنك مذنب بكل من الهرطقة والخيانة في الوقت نفســـه (الحميد، ١٩٦٧، صفحة ٦١).

ارتبط كل مفاصـل الحياة بالكنيسـة و البابا، واعطى حالة مقدسـة لها، و التفكير الخروج منها حرام. ممـا ادى الى ربط عقول الاوروبيون ببعض المواضـــيع المحـددة، حيـث اهم فقط يعيشـون من اجل ارضـاء البابا و دخول الجنة. ولهذا الاسـباب لم يكن هناك تفكير اخرى لدى الفرد الاوروبي، الا ان ضـعف الكنيسـة و البابا، و فتح الطريق امامهم باستنارة عقولهم (هلستر، ١٩٨٨، صفحة ٩٣).

يمكن القول إن المسـيحية، عبر الكنيسـة الكاثوليكية ومفهومها للأمة المسـيحية الجامعة، ســـاهمت في تأخير ظهور الفكر القومي الأوروبي، إلا أن التغيرات الدينية والفكرية في عصـــر النهضة والإصلاح البروتستانتي ساهمت في إعادة تشكيل المفاهيم الفكرية و السياسية، مما أدى في النهاية إلى نشـوء الدول القومية الحديثة. وبالتالي، فإن دور المسـيحية في هذا السـياق كان مزدوجًا؛ فقد عملت في البداية على إبطاء تطور الفكرة القومية وسـاهمت في تأخير ظهور الفكر القومي التي جاءت من خلال عدة عوامل رئيسـية، تشـمل النفوذ الديني ، و النفوذ السـياسـي، و الهيمنة الثقافية، والتحكم في التعليم والدين ، لكنها في مراحل لاحقة ساعدت على ظهورها بشكل جديد.

ثالثاً: الولاء للإمبراطور بدلاً من القومية .

لعبت المؤسـسـات الإمبراطورية في أوروبا دورًا محوريًا في تشـكيل المشـهد السـياسـي والاجتماعي للقارة عبر العصـور الوسـطى والحديثة المبكرة. وبينما برزت القومية كقوة سـياسـية رئيسـية في القرن التاسـع عشـر، كانت هذه الإمبراطوريات عقبة رئيسـية أمام انتشـارها . حيث اعتمـدت الإمبراطوريـات الأوروبيـة على أنظمـة حكم مركزيـة تمنع انتشـــار الفكر القومي. فالإمبراطوريات كانت تخشى أن يؤدي تعزيز الهوية القومية إلى تفككها، ولهذا السبب استخدمت القوات الإمبراطورية العنف لإخماد الحركات القومية. كانت اوروبا تحكم على الاكثر من قبل امبراطوريات ال هبسبرك، وال رومانوف ، و ال عثمان (ابراهيم، د.ت، صفحة ١٥٢).

فقد كانت السـلطة السـياسـية تحكم بناءً على النسـب الملكي والتحالفات بين العائلات الحاكمة، وليس بناءً على وحدة قومية . فإن الدول الإمبراطورية تتضـــمن اقوام و امم متعددة ، تعتمد على سـلطة العائلة، ولم تكن تعتمد على الروابط القومية بل على النظم السـياسـية الهرمية التي ضـمنت اسـتمرار سـيطرة النخب الحاكمة. بالإضـافة إلى ذلك، فإن الطبيعة الوراثية للحكم الإمبراطوري أعاقت أي توجه نحو تشـكيل حكومات قومية تعتمد على إرادة الشـعوب، فقد كانت

السلطة تستمد شرعيتها من الحق الإلهي للحكم وليس من إرادة الشعب، وتعتمد على ولاء الشعوب للحاكم وليس للدولة القومية (هرتز، ٢٠١١، صفحة ٣٤).

لعبت الكنيسة الكاثوليكية في الإمبراطوريات الأوروبية، مثل الإمبراطورية الرومانية المقدسة، دورًا في تأخير الفكر القومي من خلال الترويج لفكرة "المسيحية الجامعة" التي تتجاوز الهويات القومية. كان هذا يتماشى مع مصلحة الإمبراطوريات التي رأت في القومية تهديدًا لوحدتها ، وعليه فإن الكنيسة دعمت الإمبراطوريات ضد الحركات القومية في أوروبا خلال العصور الوسطى (بوركهارت، ٢٠٠٥، صفحة ٨٦).

من جانب اخر، ادت العلاقة الوثيقة بين الكنيسة والدولة إلى إخضاع الكنيسة للدولة وليس العكس. حتى الملوك المسيحيون الذين اعترفوا بالمسيحية كانوا يسعون للتحكم في الكنيسة وجعلها تخدم مصالح الإمبراطورية أو الدولة. كان هذا النموذج سائدًا سواء كانت المسيحية كاثوليكية، أرثوذكسية، أو بروتستانتية (الحصري ا.، ماهي القومية ابحاث ودراسات على ضوء الاحداث و النظريات، ١٩٨٥، صفحة ١٧٣). و شهدت التاريخ الأوروبي عدة مواجهات بين الملوك الذين سعوا لتعزيز سلطاتهم والبابوية التي دافعت عن سلطتها الشاملة، مثل الصراع بين الملك فيليب الرابع ملك فرنسا والبابا بونيفاس الثامن (موس، ١٩٩٨، صفحة ٨٩).

كانت نظرة الاوروبيين تجاه الملوك حسب نظرية بان الملك هو ظل الله على الارض او يد الله على الارض ، و تم تعينه لادارة شؤون الافراد نيابة عن الله و بموافقته، ولهذا وجب اطاعتهم، و الابتعاد عن المعصية و التقصير، فالخروج عن طاعته خروج عن رضا الله (ديفز، ١٩٥٨، صفحة ١٢١).

يتضح من مما سبق بأن المؤسسة الإمبراطورية في أوروبا لعبت دورًا كبيرًا في تأخير ظهور الفكر القومي من خلال تعزيز الولاء للحاكم بدلًا من الأمة، وإدارة التنوع العرقي بطريقة تمنع تشكيل هويات قومية مستقلة، والاعتماد على أنظمة حكم مركزية تعارض النزعات الانفصالية. مع تراجع نفوذ الكنيسة بعد عصر النهضة والإصلاح البروتستانتي، ومع تراجع هذه الإمبراطوريات في القرن التاسع عشر، بدأ الفكر القومي يتبلور وبدأت الحركات القومية بالازدهار، حيث تبنت بعض الدول، مثل إنجلترا وفرنسا، أنظمة حكم قوية مستقلة عن البابوية، مما أدى إلى تشكيل الدول القومية الحديثة.

رابعاً: الهيمنة اللغوية للاتينية و غياب الاهتمام باللغات القومية

تعتبر اللغة من اهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره من الناس. لانها اولا واسعة التفاهم بين الافراد، بالإضافة الى انه الة التفكير، وعليه ان اللغة هي واسطة نقل الافكار و المكتسبات من الاباء الى الابناء، و من الاجداد الى الاحفاد . وبما ان اللغات تختلف بين قوم و

قوم ، فمن الطبيعي ان نجد مجموع من الافراد الذين يشـــتركون في اللغة يتقاربون اكثر من غيرهم، فيؤلفون أمة متميزة عن امم اخرى (الحصـــري ا.، اراء و احاديث في الوطنية و القومية، ١٩٨٤، صفحة ١٤٢).

ضمت الإمبراطوريات الأوروبية شعوبًا متعددة ذات لغات وثقافات مختلفة. فالإمبراطورية النمساوية المجرية، على سبيل المثال، كانت تضم الألمان، والهنغاريين، والتشيك، والسلوفاك، والبولنديين، وغيرهم، فإن هذا التنوع جعل من الصـــعب تطوير هوية قومية موحدة داخل الإمبراطوريات، حيث كان الانتماء الســـياســـي مرتبطًا بالحكم الإمبراطوري وليس بالقومية (SCHIERBRAND, 1917, p. 67).

ان لكل دين كتابا مقدسا، او كتبا مقدسة، تدون و تحفظ وترتل بلغة من اللغات، كما ان لكل دين طقوسا و صلوات مفروضة لابد ان تقام بلغة من اللغات. فعلى الرغم من تنوع اللغات والثقافات المحلية، ظل العلماء ورجال الدين في العصـــور الوســـطى يكتبون ويتحدثون باللغة اللاتينية، وكانت هي اللغة الســـائدة في مجال الدين والثقافة الرســـمية والعلم في أوروبا، حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية، كمؤسسة دينية قوية، تفرض اللاتينية كلغة للعبادة والتعلم. مما جعلها تهيمن على التعليم والفكر (الحصري ا.، ماهي القومية ابحاث ودراسات على ضوء الاحداث و النظريات، ١٩٨٥، صفحة ١٤٤).

في هذه الفترة. لم يكن هناك اهتمام واســـع باللغات القومية أو المحلية، حيث كانت اللاتينية تُســتخدم كلغة رســمية بين النخب الثقافية والدينية، وكانت لغة الدين و الادب و العلوم السياسية (هرتز، ٢٠١١، صفحة ٩٢). وقد كان للكنيسة نظرة حاسمة تجاه اللغات المحلية، حيث اعتُبرت غير ملائمة لأغراض دينية وثقافية رسمية (ابراهيم، د.ت، صفحة ١٥٣) .

أن عدم اتقان الفلاحون والفئات الاجتماعية الدنيا اللغة اللاتينية جعلهم غير قادرين على المشاركة في الحوارات و النقاشات الفكرية والدينية و السياسة التي كانت تدور بين النخب الدينية والسياسية حول الهويات الوطنية. هذا التهميش كان يساهم في تعميق الفجوة بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا، وخلق فصلًا بين النخب الثقافية والطبقات الشعبية. مما اضعف إمكانية تطور فكر قومي مبني على أساس اللغة المشتركة (هرتز، ٢٠١١، صفحة ٩٣).

في ظل هيمنة اللاتينية لم يكن للغات القومية مكان كبير في الحياة العامة. كانت اللغات المحلية تُستخدم بشكل غير رسمي في الحياة اليومية، ولكنها لم تكن مُعترف بها في الأنظمة التعليمية أو في الكتابات الدينية والفلســفية. هذه الهيمنة على اللغة عطلت تطور الهوية الوطنية التي تعتمد على لغة مشتركة. بدوره ساهم هذا الوضع في تأخير تطور اللغات القومية باعتبارها وسيلة للتعبير الثقافي والتعليم (بوركهارت، ٢٠٠٥، صفحة ١٧٨).

رات الكنيسة ان اللغة اللاتينية توحد المسيحيين في جميع أنحاء أوروبا تحت سيطرتها ، و تساعد على توطيد سلطة الكنيسة. لقد رأت الكنيسة في اللغات المحلية تهديدًا لنظامها الثقافي والديني . لذا كان استخدام اللغات المحلية في العبادة أو التعليم يُنظر إليه على أنه تقليل من قيمة الدين والتعليم الرسميين. كانت الكنيسة تشجع على استخدام اللاتينية باعتبارها لغة "مقدسة" و"قوية" بينما كانت تهمش اللغات القومية باعتبارها "شعبية" أو "غير ملائمة (عجيبة، ١٩٩١، صفحة ٧٨) .

التعليم في معظم أنحاء أوروبا في العصور الوسطى محصورًا في الأديرة والكنائس، حيث كان يُدرس باللغة اللاتينية ، و فرض الكنيسة اللاتينية كلغة وحيدة واساسية للعبادة والعلم و المعرفة ، وكان رجال الدين يتحدثون ويكتبون باللغة اللاتينية. كانت نتاج الفكر و الكتابة و النشر في جميع اوروبا تحت رقابة و سيطرة الكنيسة ، و يتم اعداد هذه الكتابة لخدمة الكنيسة المسيحية. هذا جعل اللاتينية لغةً مقدسة وأداة أساسية للتعليم والنقاش الديني والفكري (بوركهارت، ٢٠٠٥، صفحة ١٧٩). وكذلك النخب المثقفة كانت تستخدم اللاتينية، ولم يكن يُسمح للفئات الشعبية بالتعليم بلغاتهم القومية، حيث تعتبر لغات محلية، ولا يستحق التعبير بيها من قبل الطبقات المثقفة و الاشراف و النبلاء. بل كانوا يعدون اللغات المحلية من اللغات الضعيفة، و فقط افراد من الطبقات الدنيا (العمال و المزارعين و الخدم) يتحدثون بيها (Lewis, 2002, p. 60).

الفلاحون وأفراد الطبقات الدنيا كانوا يتحدثون اللغات المحلية وتُستخدم فقط في الحياة اليومية، مما جعلهم غير قادرين على المشاركة في الحوارات الفكرية والدينية التي كانت تدور بين النخب الدينية والسياسية، ولم يكن لديهم الوصول إلى الفكر السياسي أو الثقافي الذي كان يُناقش باللاتينية بل تحرم منه ، حيث لم يكن لغة مفهومة بالنسبة لهم. هذا الواقع جعل التعليم محصورًا في طبقات معينة من المجتمع . هذا التهميش كان يساهم في تعميق الفجوة بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا، مما يضعف من إمكانية تطور فكر قومي مبني على أساس اللغة المشتركة. عدم استخدام اللغات المحلية في الساحات الرسمية أضعف مفهوم الهوية الوطنية التي تعتمد على اللغة المشتركة. ولم تتطور الآداب والفنون في اللغات المحلية بالشكل الكافي الذي يُمكّن الناس من أن يشعروا بأن لديهم ثقافة موحدة. حتى في الأدب، كان يتم التركيز على اللغة اللاتينية كوسيلة للتعلم والتثقيف، وهو ما عزل الوعي الثقافي المحلي عن النمو. على الرغم من ظهور بعض المقطوعات الادبية الممتازة باللغة الايطالية و الفرنسية و الاسبانية و الالمانية و الانكليزية ، و لكن التاكيد على اللغة اللاتينية حالت دون تقدم الكتابة باللغات المحلية القومية (حزم، ٢٠٢١، صفحة ٤٨).

كانت اللغة أداة أساسية لتعزيز التماسك الوطني خلال العصور الوسطى. لم تكن اللغة مجرد وسيلة تواصل، بل كانت وسيلة لتوحيد المجموعات المتنوعة ضمن الأراضي الناشئة . ففي غياب الاستخدام الرسمي للغات المحلية، كان من الصعب للأفراد أن يشعروا بأنهم جزء من أمة واحدة أو هوية قومية مشتركة. كانت اللغة المحلية في العديد من الحالات هي العنصر الذي يربط الناس ببعضهم البعض، لكن عدم تدريسها في المدارس كان يعيق تطور هذه الروابط.حال هذا الوضع دون انتشار اللغات المحلية، وأضعف الانتماء إلى لغة قومية واحدة. مما منع واخر تطور اللغات المحلية والوطنية التي تعد ركيزة أساسية للهوية القومية، مما أدى إلى تأخير نشوء الهويات القومية بين الشعوب المختلفة .(Verschueren, 1998, p. 102)

مع بداية عصر النهضة، ومع انتشار الطباعة ساهم في تعزيز اللغات المحلية. وبدأ استخدام اللغات المحلية في الأدب والعلم والفكر، وبدأ الأفراد يتعرفون على هويتهم الجماعية، من خلال اللغة المشتركة، مما عزز شعورهم بالانتماء. لعبت تطورات اللغة العامية دورًا حاسمًا في هذه العملية. أصبحت اللهجات الإقليمية واللغات المحلية أكثر بروزًا، مما مكن الناس من التعبير عن ثقافتهم وتقاليدهم وطموحاتهم. مع انتشار هذه اللغات، سهلت تبادل الأفكار والقصص التي عززت الروابط المجتمعية (حاطوم، ١٩٨٥، صفحة ١٦٧) .

حصل تحول تدريجي نحو استخدام اللغات القومية في الكتابة والتواصل الفكري. هذا التحول بدأ يظهر بشكل واضح في الأدب والسياسة، حيث بدأ المفكرون في استخدام لغاتهم المحلية بدلًا من اللاتينية. حيث بدأ الناس يشتركون في لغة وأدب وثقافة مشتركة ، وقد كانت هذه فترة تغيير حيث بدأ الناس يشعرون بأنهم جزء من أمة واحدة يمكن التعبير عنها بلغتهم المشتركة. التحول نحو استخدام اللغات القومية كان أساسيًا في بناء مفهوم الدولة القومية، حيث كانت اللغة أداة أساسية في توحيد الشعوب ضمن أمة واحدة (Verschueren، ١٩٩٨، صفحة ١٥٦) .

كانت الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى حجر الزاوية للثقافة الدينية والتعليمية في أوروبا، حيث فرضت اللاتينية كلغة رسمية وحجر أساس للثقافة والفكر. هذه الهيمنة اللغوية حالت دون ظهور الهوية القومية في أوروبا، حيث كانت اللغات المحلية تُعتبر غير ملائمة للأغراض الفكرية والدينية الرسمية. لكن مع بداية عصر النهضة، بدأ الفكر القومي في الظهور تدريجيًا، بعد أن بدأ استخدام اللغات القومية في الأدب والفكر، مما ساعد في تكوين الهويات القومية الأوروبية في العصور الحديثة .

خامساً: النظام الإقطاعي وغياب الطبقة البرجوازية

شـــهدت أوروبا في العصـــور الوســـطى هيمنة النظام الإقطاعي، الذي شـــكل المجتمع الأوروبي على مدى قرون. كان هذا النظام، بنظامه الاجتماعي والســياســي والاقتصــادي، عائقًا رئيسيًا أمام ظهور الفكر القومي الأوروبي الذي أصبح سائدًا في العصر الحديث.

كان النظام الإقطاعي في العصور الوسطى يمثل هيكلًا معقدًا يركز على ملكية الأراضي والسيطرة عليها من قبل النبلاء. كانت الفئات العليا من النبلاء والكنيسة تمتلك الأرض، في حين كانت الأغلبية من الســكان، الذين كانوا من الفلاحين أو العمال الزراعيين، يعانون من الفقر. اي هناك علاقات غير متساوية بين النبلاء والفلاحين. كان هؤلاء الفلاحون مرتبطين بالأراضي التي يعملون فيها بموجب اتفاقات إقطاعية تعني أنهم لا يستطيعون الخروج منها أو تحسين وضعهم الاقتصادي (هويزنجا، ١٩٩٨، صفحة ١٢٦).

الإقطاعي كان يتحكم في مساحة من الأراضي ويستفيد من العمل الزراعي للفلاحين، في مقابل حماية النبلاء للفلاحين من التهديدات الخارجية. هذا النظام كان يفرض تقسيم المجتمع إلى طبقات ثابتة ، ويخلق علاقات ولاء محلية ضـــيقة. وعليه، كانت الهوية التي يشـــعر بها الأفراد محصـــورة في نطاق إقليمي ضـــيق. وبذلك، لم يكن لدى الناس الإحســـاس بالانتماء إلى "أمة" بالمعنى الحديث، بل كان انتماؤهم موجهًا نحو الأراضـــي التي يعيشـــون فيها أو نحو اللورد الذي يحكمهم.بحيث كانت الولاء والالتزامات بين الإقطاعيين والفلاحين تتجاوز الولاء لأمة أو هوية قومية (هرتز، ٢٠١١، صفحة ٣٦).

ففي هذا النظام الزراعي، كانت الأراضـــي هي المصـــدر الرئيســـي للثروة، وكان الفلاحون ملزمين بتوريد المحاصـيل لمالكي الأرض. هذا النظام لم يسـمح بالمرونة الاقتصـادية أو الابتكار الصـــناعي، ما أدى إلى بقاء الغالبية في وضـــع اقتصـــادي ثابت وصـــعب. وبالتالي، كان معظم الناس مشـــغولين ببقائهم المادي، مما جعل الاهتمام بمســـائل الهوية القومية بعيدًا عن اهتماماتهم (موس، ١٩٩٨، صفحة ٩٠).

في ظل نظام الاقطاعي، كان الفلاحون والعمال مرتبطين بالأراضـــــي التي يعملون فيها وملتزمين بالعلاقات الإقطاعية التي كانت تُنظم من خلال تبادل الخدمات والموارد المحلية. ايضاَ بسـبب النظام الإقطاعي الذي ركز الثروة في يد القلة، كان هناك تفاوت كبير في مسـتوى الحياة بين الطبقات الاجتماعية. الطبقات العليا كانت تعيش حياة رفاهية بينما كانت الطبقات الفقيرة تُعاني من ظروف اقتصـادية قاسـية. هذا الولاء المحلي والتفاوت الطبقي سـاهم في تهميش الهوية الجماعية بين الشـعوب، حيث كانت الطبقات الضـعيفة تركز على البقاء المادي أكثر من محاولة بناء فكرة الولاء الوطني التي هي أساس الفكر القومي (اليوسف، ١٩٦٧، صفحة ١٧٢).

كان الاقتصـاد الإقطاعي يعتمد بشكل رئيسـي على الزراعة والاكتفاء الذاتي المحلي. هذا يعني أن كل منطقة كانت تشكل وحدة اقتصادية مغلقة إلى حد كبير، حيث كانت التجارة محدودة وكانت التواصـل بين الأقاليم ضـعيفًا. بالإضـافة إلى ذلك، كانت المدن الصـغيرة قليلة وتقتصـر على الأنشـطة المحلية، مما سـاهم في عزلة المجتمعات وعدم وجود تفاعل ثقافي أو اقتصـادي كبير بين المناطق المختلفة. كانت الطبقات الدنيا متعلقين بهويات محلية ضـيقة تعتمد على الانتماء إلى الإقطاعية أو الكنيسـة. ولم يكن هناك دافع اقتصـادي قوي لتعزيز الشـعور بالانتماء إلى كيان قومي أوسـع ، بل كانت الهويات المحلية والعرقية هي التي تميز بين المجتمعات (Anderson, 1983, p. 124).

غياب البرجوازية أدى إلى اسـتمرار هيمنة النظام الإقطاعي، مما جعل تجزئة المجتمع السـياسـي والاقتصـادي سـمة بارزة. حيث لم يكن هناك طبقة برجوازية قوية تدافع عن مصـالح اقتصـادية مشـتركة. كانت الطبقات الغنية بين الامم الاوربية يتكون من رجال الدين و النبلاء، حيث ارتبطوا بمصـالح مشـتركة، و اتفقوا على مواجهة أي فكر ضـد مصـالحهم. كانت الحرف والمهن الاقتصـادية مرتبطة بالمجتمعات المحلية التي تتمركز حول المدن، حيث كان الفلاحون والعمال يقتصـرون على الأعمال الزراعية واليدوية .عندما بدأ الفلاحون والعمال في التحرك والمطالبة بحقوقهم، كان من الضـروري أن تكون هناك هوية وطنية موحدة يمكن أن تدمج هذه الطبقات المختلفة تحت سـقف واحد. سـاهمت البرجوازية في بلورة هذا الوعي القومي، حيث رأت أن من مصلحتها دعم فكرة الأمة الموحدة (هرتز، ٢٠١١، صفحة ٤٠) .

من اجل المحافظة على حقوقهم المكتسـبة ، توحد الطبقات العليا تحت سـتار وجود الاخطار الخارجية ، و بالأخص من قبل المسـلمين العثمانيين و قبلهم خطر مسـلمي الاندلس. أي تحت شـعار الدين و اسـتغلال العواطف الدينية للشـعوب الاوروبية تم ابتعاد الجماهير الاوروبية من الافكار المختلفة و خاصة الافكار القومية (بوركهارت، ٢٠٠٥، صفحة ١١١) .

شـهدت أوروبا تحولاً اقتصـادياً واجتماعياً مع ظهور الطبقة البرجوازية. بدأت هذه الطبقة، التي كانت في البداية تمثل التجار والحرفيين، في اكتسـاب السـلطة الاقتصـادية والسـياسـية مع تطور التجارة والصـناعة في القرون الوسـطى المتأخرة وعصـر النهضـة (بيرن، ١٩٩٦، صـفحة ١٤٥).

كانت الطبقة البرجوازية المستقلة بحاجة إلى كيان سياسي موحد يستطيع حماية مصالحها الاقتصادية المتنامية. فالفكر القومي بدأ يظهر بشكل واضح عندما أصبح لدى البرجوازيين الرغبة في تشـكيل دول موحدة قومية ذات سـيادة تضـمن لهم حماية أسـواقهم وتسـهيل حركة التجارة بين الأقاليم. البرجوازية كانت تدعو إلى إنشـاء حكومات مركزية تتجاوز الولاءات المحلية التقليدية.

فبفضل تأثيرها في الاقتصاد، تمكنت البرجوازية من دفع الحكومات لتبني سياسات اقتصادية تدعم التجارة والصناعة على مستوى أكبر، وهو ما خلق حوافز لتوحيد الأمم. وساعد في بلورة الفكر القومي (شكري، الصراع بين الطبقة البرجوازية و الاقطاع، ٢٠١٣، صفحة ٩٢) .

مع تطور المجتمع الوسيط، أصبح الانتقال من الولاءات المحلية إلى الانتماء الوطني أكثر وضوحًا. بدأت الهوية المحلية، المرتبطة في الغالب بالروابط الجغرافية والإقطاعية، تتخلى لصالح وعي قومي جماعي. ساهمت التغيرات الاجتماعية والسياسية في هذا التحول، مثل انحسار الإقطاع (اليوسف، ١٩٦٧، صفحة ٨٧) .

يمكن القول أن النظام الإقطاعي وغياب الطبقة البرجوازية كانا من العوامل التي ساهمت في تأخر ظهور الفكر القومي الأوروبي، حيث ساهمت الاقطاعية في تعزيز الهويات المحلية والولاءات الإقليمية على حساب الولاء للأمة أو الهوية القومية الموحدة. كما أن الاقتصاد المغلق، والهيمنة الدينية، والسلطة المجزأة أدت إلى عدم وجود بيئة ملائمة لتطوير الفكر القومي في أوروبا قبل العصور الحديثة. ولكن مع صعود البرجوازية، أصبحت الأسس الاقتصادية والسياسية ملائمة لتشكيل هويات قومية موحدة، مما سهل عملية بناء الدول القومية .

سادساً: تأثير الفقر والجوع

ساهمت الفقر والجوع اللذان عصفا بالقارة الأوروبية لفترات طويلة، في تأخر ظهور الفكر القومي الاوروبي. ففي العصور و الوسطى، كانت أوروبا تعيش في ظل سلطة غير عادلة، و اغلب الشعوب الاوروبية كانت تعيش تحت نظم اقتصادية متخلفة، وكانت الانتاج كله في خدمة رجال الدين و طبقة الاشراف و النبلاء و الاقطاع ، وحرم الطبقة العامة منه. وكانت اوروبا تعاني من أزمات اقتصادية حادة نتيجة للحروب المستمرة، والمجاعات المتكررة، والأنظمة الإقطاعية التي ساهمت في تزايد الفقر بين الفئات العريضة من السكان. أدى هذا إلى تركيز الأفراد على تأمين قوت يومهم بدلًا من الاهتمام بالقضايا السياسية والفكرية.

كان المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى يعتمد على الاقتصاد الزراعي القائم على الإقطاع، مما أدى إلى تركيز الثروة والسلطة في أيدي قلة من النبلاء، في حين ظل معظم السكان يعانون من الفقر. كانت المجتمعات الريفية معزولة عن بعضها البعض، والفلاحون يعملون في ظروف قاسية مقابل عوائد ضئيلة بالكاد تكفي لسد احتياجاتهم الأساسية (الشعراوي، ١٩٧٠، صفحة ١٢٠).

اجتاحت أوروبا "المجاعة الكبرى" (١٣١٥-١٣١٧) نتيجة سوء الأحوال الجوية و التغيرات المناخية التي أدت إلى تدمير المحاصيل وانهيار الإنتاج الزراعي. ما أدى إلى ارتفاع أسعار الغذاء بشكل جنوني وانتشار المجاعة في مختلف أنحاء أوروبا هذا، إلى جانب زيادة

أعداد الســـكان في بعض المناطق، أدى إلى نقص حاد في الغذاء. العواقب كانت كارثية، حيث أدى الجوع إلى تدهور الحالة الصـــحية، وزيادة معدلات الوفيات. تســـببت المجاعات المتكررة والأوبئة مثل الطاعون الأســـود في انخفاض عدد الســـكان وتدمير البنية الاقتصـــادية (غازي، ٢٠١٥، صفحة ٦٩).

أما الطاعون الأسود (١٣٤٧-١٣٥١)، الذي دمر جزءًا كبيرًا من السكان في أوروبا، فقد أودى بحياة ما يقارب ثلث سكان أوروبا، مما تسبب في انهيار القوى العاملة الزراعية والصناعية، وزيادة معاناة الفقراء الذين كانوا الأكثر عرضـــة للخطر بســـبب نقص الموارد الغذائية والرعاية الصحية. وكان له تأثير اقتصادي واجتماعي هائل. أصبح الناس في حالة من الفوضى والترقب للنجاة. بسـبب المعاناة المسـتمرة من الجوع والموت، أصـبح التفكير في الهوية الوطنية وحقوق الفرد بعيدًا عن أولويات الناس. كانت المجتمعات التي تعرضـت لتلك الكوارث مشـغولة بمحاولة البقاء على قيد الحياة، ما أضـــعف فكرة الوحدة الوطنية.وهذا جعل القضـــايا الفكرية مثل القومية والهوية الوطنية غير ذات أهمية مقارنة بمشـاكل الحياة والموت اليومية (دنكان، ٢٠١٧، صـفحة ١٣٤).

أدت الأوضاع الاقتصادية المتدهورة إلى انخفاض معدلات التعليم ، مما أبقى المجتمعات في حالة من الكفاح المسـتمر من أجل البقاء، وانشـغال الشـعوب الأوروبية بتأمين الاحتياجات الأساسية للحياة . مما أخر نشوء الأفكار القومية و التفكير في السيادة السياسية التي تحتاج إلى وعي جماهيري واسع.

ساعد هذا الوضع الاقتصادي المتردي على بقاء النظم الإقطاعية والملكية المطلقة التي قاومت ظهور القومية، حيث كانت هذه الأنظمة تعتمد على الطبقات الفقيرة لإحكام الســـيطرة الســـياســـية، و أصـــبحت الفجوة بين الأغنياء والفقراء واســـعة للغاية، حيث كان النبلاء والتجار يهيمنون على الثروات، في حين ظل الفلاحون والعمال يعانون من ظروف معيشـــية ســـيئة. هذا التفاوت أدى إلى تفشي حالات سوء التغذية وضعف الصحة العامة، مما زاد من صعوبة تحفيز الطبقات الدنيا على تبني أفكار قومية (شـــكري، الصـــراع بين البرجوازية و الاقطاع مجلد ١، ٢٠١٧، صفحة ٩٥).

كما كان للحروب تأثير كبير على الهوية الوطنية خلال العصـــور الوســـطى من خلال تشـــكيل الولاءات وتعزيز الشـــعور بالوحدة بين المجموعات المختلفة. غالبًا ما كانت الحروب تتجاوز الولاءات المحلية أو الإقطاعية، مما يعزز الهويات الجماعية المبنية على تجارب مشتركة من النضـــال والتضـــحية (دوبراتشـــينســـكي، اوروبا المســـيحية زمن المســـيحيين الفاترين، ٢٠٠٧، صـفحة ٨٧). كانت الحروب المتكررة، لا تقتصـر فقط على تعزيز التنافسـات الوطنية، بل أيضًـا

على زراعة شعور بالوطنية بين الناس. ساهم الجنود العائدون من المعركة في فكرة الأمة ككيان موحد، بدلاً من كونها مجرد مجموعة من الأراضي أو الدومين الإقطاعي (هرتز، ٢٠١١، صفحة ٥٢).

كما ان عدم تطور اقتصاد السوق و التبادل التجاري ب المواد المصنعة. هذا الحالة كان تسبب في اختلاط و تبادل اللغات و الافكار المختلفة، و بالنتيجة تؤدي الى الارتباط باللغة و الارض و المصالح المشتركة، و من اجل تقوية هذه المصالح المشتركة، من الواجب ارتباط اقوى بين افراد المنطقة الواحدة ، و الاندفاع نحو الظهور و الاستعلاء و الاستقلال عن لغة و ثقافة منطقة اخرى. وتعتبر هذا بدايات ظهور الافكار القومية (شكري، الصراع بين البرجوازية و الاقطاع مجلد ١، ٢٠١٧، صفحة ١٠٤).

يظهر مما سبق أن الفقر والجوع كانا من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تأخر ظهور الفكر القومي الأوروبي، لا سيما في العصور الوسطى، حيث انشغلت المجتمعات بتلبية احتياجاتها الأساسية مثل الغذاء والمأوى لم يكن لديهم الوقت أو القدرة على التفكير في الهويات الوطنية أو السياسات التي تروج لهذه الهويات (هويزنجا، ١٩٩٨، صفحة ٥٩).

أدت المجاعات والأوبئة، إلى جانب النظام الإقطاعي والتفاوت الاجتماعي، إلى إعاقة أي توجه نحو تشكيل وعي قومي مشترك. ومع ذلك، فإن تحسن الظروف الاقتصادية مثل تطور التجارة، والتحولات الثقافية، مثل عصر النهضة والتغيرات السياسية ساعدت لاحقًا في انطلاق الحركات القومية في أوروبا. لذا، يمكن القول إن القومية نشأت حينما توافرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي سمحت بظهورها وتطورها.

سابعاً : عدم انتشار الثقافة .

كانت الثقافة في اوروبا في عصور الوسطى منتشرة بين رجال الدين و ابناء الطبقة الارستقراطية، وكانت الحكومات لاتعد نفسها مسؤولة عن نشر التعليم ، و انحصر التعليم في الكنائس و الاديرة و المؤسسات التابعة للكنيسة، لذا بقيت جماهير الشعوب الاوروبية محرومة من الثقافة، لذلك لم تكن اذهان افراد الشعوب الاوروبية مستعدة لقبول الافكار القومية .

كانت الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، تهيمن على النظام التعليمي في أوروبا. واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها من قبل، ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة. وساعدها على ذلك ان الملوك و الاباطرة سلموا بسياستها في اضطهاد المخالفين (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٣١).

المؤسسات التعليمية، مثل الاديرة و الكنائس و الكاتدرائيات و المدارس والجامعات، تُدار بشكل رئيسي من قبل الكنيسة. وحولتها الى معاقل للاستبداد واوكار للرجعية. حيث ادركت ان

خروج الحركة التعليمية من قبضـــتها تعريضـــا لســـلطانها و تعليمها للخطر و النقد (عجيبي، ٢٠٠٤، صفحة ٨٦).

كانت دراسة الفلسفة واللاهوت هي الأساس في هذه المؤسسات، كانت الهدف من التعليم في العصـور الوسـطى ليس فقط تزويد الطلاب بالمعرفة، ولكن أيضًـا ضـمان الولاء للكنيسـة، و يهدف بشكل أساسي إلى تعزيز المبادئ الدينية والتأكد من أن الطلاب يلتزمون بالعقيدة المسيحية و اللغة اللاتينية. كان يُعتقد أن التعليم الديني يمكن أن يمنع الأفكار التي قد تؤدي إلى تشـــكيل هويات قومية أو فكر مستقل يمكن أن يتعارض مع السلطة الكنسية (نصـار، ٢٠٠٨، صـفحة ٤٨).

كان القبول في المؤسسات التعليمية في العصور الوسطى يعتمد بشكل كبير على الولاء الديني. كانت الكنيســة تفضــل قبول الطلاب الذين ينحدرون من عائلات متدينة أو لديهم صــلة مباشرة برجال الدين، مما يضـمن بقاء النفوذ الكنسـي داخل الأجيال المتعاقبة. حيث كانت انتقاء الطلاب بناءً على الولاء الديني. كانت الكنيسـة تسـعى إلى تعليم الطلاب الذين يُحتمل أن يكونوا في المسـتقبل رجال دين أو موظفين في النظام الكنسـي، وكان الطلاب المتفوقون في الدراسـات اللاهوتية يحصــلون على امتيازات خاصــة، مثل الترقية إلى مناصــب دينية، مما جعل الكنيســة تسيطر على النخب الفكرية في المجتمع، و تعزيز التعليم الكهنوتي (عاشور، الجامعات الاوربية في العصور الوسطى، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٢).

كان هناك انتقاء صـــارم للطلاب الذين يظهرون ولاءً للعقيدة الكاثوليكية، وغالبًا ما كان يُفضــل أبناء العائلات التي لها صــلات بالكنيســة. في حين الطلاب الذين يظهرون ميولًا فكرية تتعارض مع تعاليم الكنيســـة أو يبدون تأييدًا للأفكار القومية كانوا يُحرمون من التعليم أو يُفرض عليهم إصلاح فكري عبر تعاليم صارمة. وعليه فيتم إقصاء الطلاب الغير الملتزمين دينيًا. وعلية فلم يكن الهدف من التعليم إعداد كوادر علمية أو فكرية مستقلة، بل تهيئة أفراد يخدمون الكنيسة، ســواء في المناصــب الدينية أو الإدارية داخل الممالك الخاضــعة للســلطة البابوية وهكذا كانت تحديد مستقبل الطلاب وفق احتياجات الكنيسة (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٣٤).

تمسـكت البابوية بمبدأ موافقة الاسـقف على الطلبة الذين يتقدمون للحصـول على درجة الدكتوراه في القانون من بولونيا بإيطاليا، اما باريس فقد ظهر هذا التدخل في التوحيد بين وظيفتي رئيس الجامعة و رئيس اسـاقفة باريس، بمعنى ان الاخير اضــحى مشـرفا على شـؤون الجامعة (عاشور، تاريخ اوروبا العصور الوسطى، ١٩٧٦، صفحة ١٣٦) .

عملت الكنيسـة على تعزيز الفكر الديني، حيث كان الطلاب يُدرَّبون على رؤية أنفسـهم كجزء من مجتمع مســـيحي عالمي بدلًا من الارتباط ببلدانهم أو ثقافاتهم المحلية، من خلال

الترويج لنظرية "الحق الإلهي للحكم"، التي تجعل السلطة السياسية خاضعة لإرادة الكنيسة وليس لإرادة الشعوب كما قمع النزعات الفكرية الداعية إلى الاستقلال السياسي أو القومي (عاشور، الجامعات الاوربية في العصور الوسطى، ٢٠٠٦، صفحة ٧٦).

كانت المنهج الدراسي في العصور الوسطى يركز بشكل كبير على النصوص الدينية، مع تركيز خاص على الكتاب المقدس وأعمال الفلاسفة المسيحيين. بنما الدراسات العلمية والفلسفية كانت محدودة في هذه الفترة، وكان يتم تقليص تدريس الفلسفات العلمانية التي قد تتناقض مع تعاليم الكنيسة. ان تفسيرات الكنيسة لنصوص العهد القديم و خاصة فيما يتعلق بقصة الخلق ادت الى استبعاد علم طبقات الارض، و علم الحيوان ، و علم الانثروبولوجيا من ميادين البحث الحر، و اصبحت الحقيقة عندهم هي التي تكون في ظاهر نصوص الانجيل، كما تأويلها الحرفي كفيل بمعرفة الناس الوجه الصحيح فيما يبحثون (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٣٨).
لعبت الكنيسة الكاثوليكية دورًا مركزيًا في صياغة المناهج التعليمية والإشراف على المؤسسات التعليمية، كانت الكنيسة تتحكم وتدير معظم المدارس والجامعات في أوروبا، حيث اقتصرت المناهج على الدراسات الدينية والفلسفية المستندة إلى العقيدة المسيحية، مما جعل الفكر الفلسفي والسياسي خاضعًا لتفسيرات دينية تمنع نشوء أفكار عقلانية او علمانية أو قومية (عاشور، الجامعات الاوربية في العصور الوسطى، ٢٠٠٦، صفحة ٧٩).

كان من المنتظر ان تنتصر الجامعات الاوروبية لحرية الفكر، ولكن كانت الكنيسة تحتكر العلم و تهيمن على شؤنه فسارات الجامعات في ركابها، واخذت تتلقى الاوامر و التعليمات من رجالها و تلقن طلابها ما يبيحه هؤلاء ، و تحبس عنهم ما يحرمونه، و اصبح اساتذة هذه الجامعات لا يعنون بالحقيقة بقدر ما يعنون بالاستجابة لطاعة الكنيسة و اعتناق ما تقره من اراء (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٤٠).

كانت العملية تخضع لنظام دقيق يهدف إلى ضمان بقاء التعليم متوافقًا مع العقيدة المسيحية وتعزيز الولاء للكنيسة. تم توجيه المناهج لتكريس الولاء الديني، حيث ركزت المناهج على الدراسات اللاهوتية وتعزيز الولاء للبابوية، مما أبقى الأفراد في إطار الهوية الدينية بدلاً من تعزيز هوياتهم القومية (اليوسف، ١٩٦٧، صفحة ٩٢).

هيمن الكنيسة على ميادين البحث العلمي، وفرضت عليها ما تراه حقا، وعملت على فرض آرائها بالقوة مستندا في ذلك على سلطانها الديني و الدنيوي. كانت تمتلك لجانا خاصة تشرف على وضع المناهج الإشراف على التعليم الكنسي وآليات اختيار الطلاب، وغالبًا ما كان يشرف عليها الأساقفة ورجال الدين المؤثرون. هذه اللجان كانت مسؤولة عن تحديد المواد

الدراسية التي يُسمح بتدريسها، بما في ذلك اللاهوت والفلسفة الدينية والتاريخ المسيحي (نصار، ٢٠٠٨، صفحة ١٦٣).

فرضـــت الكنيســـة رقابة صـــارمة على أي أفكار تتعارض مع العقيدة الكاثوليكية، مثل الفلسفات الإغريقية أو الفكر العلماني، واعتبرت بعض الفلسفات غير الدينية تهديدًا لعقيدتها، مما أدى إلى اضـــطهاد المفكرين والعلماء الذين دعوا إلى الإصـــلاح التعليمي (بوركهارت، ٢٠٠٥، صـفحة ٢٠٢). وقفت الكنيسـة بالمرصـاد لكل فكر مخالف لها ، ولكل صـاحب رأي مغاير لرأي ابائها ورجالها الذين أعطتهم وحدهم ســـلطان التأويل و التفســـير. تبنت الكنيســـة اراء هؤلاء ، واوصـدت الابواب امام اراء غيرهم، و لم تكتفي بذلك بل اضـطهد المخالفين، و قمعت المارقين ، و اقامت من اجل ذلك محاكم التفتيش (عبيد، محاكم التفتيش نشأتها و تطورها، ١٩٧٨، صفحة ٨٢)، التي اســتخدمت كل اســاليب القهر و التعذيب. تولت المحاكم مطاردة المارقين و تعذيبهم الى حد احراقهم و هم احياء (الطويل، ١٩٧٩، صفحة ٤٢).

اعتبر الكنيســـة أي محاولات فكرية لتطوير هوية قومية مســـتقلة كانت تُعتبر بدعة أو هرطقة، مما أدى إلى محاكمة المفكرين والقادة القوميين. ولم يكن يُسـمح لأي كتاب بالتدريس إلا بعد مراجعته والموافقة عليه من قبل الكنيسة، مما أدى إلى غياب أي محتوى يعزز الوعي القومي أو الفكر الاســـتقلالي. مما حال دون انتشـــار التيارات الفكرية التي قد تعزز النزعة القومية (عجيبي، ٢٠٠٤، صفحة ٨٤).

ادى سـيطر الكنيسـة على دوائر التعليم الى القول بآراء علمية غير صـحيحة مثل القول بدوران الشـمس حول الارض، و رفض الاعتقاد بان الجانب المواجه لمواطننا من الارض معمور بالخلائق، و الاعتقاد بان امراض المسـيحيين مردها الى الشـيطان. و اعترض الدوائر الكنسـية على التطعيم . و اعتبرت الكيمياء فنا شـيطانيا خبيثا ، و ادان المشـتغلين بها . كان الاوروبيون بين الحين و الاخر يظهرون التمرد لكن الكنيسـة كانت لهم بالمرصـاد، و تقهرهم مرة بعد اخرى (عجيبي، ٢٠٠٤، صفحة ٨٥).

احكمت الكنيســة ســيطرتها في العملية التعليمية في أوروبا خلال العصــور الوســطى، وفرضـــت رقابتها على كل منافذ الاشـــعاع للتقدم و المعرفة، واعاقت كل فكر، وأوقفت كل تقدم، واوصـدت الابواب التي من شـأنها أن تزيد المعرفة و تسـاعد على الرقي. كانت اوروبا في ظلام دامس، جهل ســـائد، وكان الفكر العقلي خاملا، والبحث العلمي راكد وذلك بفعل التعصـــب المقيت، والتزمت البغيض، وبسبب تلك العقبات التي وضعتها الكنيسة في وجه العلم و العلماء . كل هذا ساهم في تأخير انتشار الفكر القومي لصالح الفكر الديني المسيحي الجامع. نتيجة لهذا التحكم الصـــارم في التعليم، تأخر ظهور الفكر القومي في أوروبا لعدة قرون، حيث ظل الناس

يرون أنفسهم كأعضاء في "المسيحية الجامعة" بدلاً من كونهم مواطنين في دول قومية مستقلة (عجيبي، ٢٠٠٤، صفحة ٨٦).

بدأ العقل الاوروبي يفيق من سباته، ويصحو من غفلته، ليقاوم تلك السلطة الكنسية، و يحاول خرق تلك القيود التي فرضتها، و فتح الابواب التي اوصدتها، و تخطي العقبات التي و ضعتها و تجاوز المعوقات التي احدثتها، محاولا بذلك الصمود امام اساليب القهو و الوحشية. عملت العقل الاوربي على احداث تغير جذري، مع ظهور الجامعات العلمانية والإصلاح البروتستانتي، بدأ النظام التعليمي في الانفصال تدريجيًا عن الكنيسة (فيشر، ١٩٦٥، صفحة ١٩٤).

بدأ الفكر القومي في النمو نتيجة انتشار التعليم الحديث الذي ركز على الفلسفة، العلوم، والتاريخ الوطني، من خلال تعزيز شعور بالهوية المشتركة بين الناس. كانت الفنون والأدب والموسيقى والفلكلور منصات للتعبير عن التجارب والقيم والطموحات المشتركة، مما ساهم في تشكيل الهويات الوطنية الجماعية. كما كانت اللغة تلعب دورًا محوريًا في هذه التعبيرات الثقافية، حيث ظهرت الأدب العامي، مما سمح للسرديات المحلية أن تجد صدى في جمهور أوسع. غالبًا ما كانت الأعمال الأدبية تصوّر أبطالًا إقليميين وأحداثًا تاريخية، مما يعزز الفخر والروابط الجماعية. أدى هذا إلى تطور الفكر القومي وانتشار أفكار الاستقلال والهوية الوطنية، مما مهد الطريق لنشوء الدول القومية الحديثة.

الخاتمة

يمكن الاستنتاج بأن الفكر القومي لم يظهر في أوروبا بصورة فجائية، بل كان نتيجة لتراكم طويل من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شكلت الوعي الجماعي للأمم الأوروبية. لقد لعبت الكنيسة الكاثوليكية، من خلال سيطرتها على النظام التعليمي وهيمنتها الدينية، دورًا في تأخير تطور القومية لصالح مفهوم "المسيحية الجامعة"، بينما عزز النظام الإقطاعي الولاءات الإقليمية والمحلية على حساب الهوية القومية. كما أن انتشار اللغة اللاتينية وسيطرتها على المجال الثقافي والمعرفي حال دون تطور اللغات القومية، مما أعاق تشكيل هوية وطنية موحدة. ومع ذلك، فإن تحولات عصر النهضة، وظهور الطبقة البرجوازية، وازدهار اللغات المحلية، وانتشار التعليم، أسهمت في إعادة تشكيل الوعي الأوروبي وأسست للانتقال من الولاءات التقليدية إلى الفكر القومي الحديث. وبالتالي، فإن القومية، بوصفها ظاهرة فكرية وسياسية، لم تكن مجرد انعكاس طبيعي لتطور المجتمعات، بل جاءت كنتيجة حتمية لسلسلة من العوامل المتداخلة التي دفعت باتجاه بناء الدول القومية وترسيخ الهوية الوطنية.

قائمة المصادر :

اولاً: المصادر الاجنبية

Benedict Anderson .(١٩٨٣) .Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism .Verso.

Jan Blommaert and Jef Verschueren) .January, 1998 .(THE ROLE OF LANGUAGE IN EUROPEAN NATIONALIST IDEOLOGIES .Pragmatics Quarterly Publication of the International Pragmatics Association(IPrA.(

Johan Breuilly .(١٩٩٣) .Nationalism and the State .Chicago: University of Chicago.

M. Paul Lewis .(٢٠٠٢) .The Latin Language .Oxford University Press.

Wolf von SCHIERBRAND .(١٩١٧) .AUSTRIA-HUNGARY THE POLYGLOT EMPAIRE .NEW YORK: FREDRECK A. STOKES COMPANY PUBLISHERS.

ثانياً: المصادر العربية و المعربة

ابو خلدون ساطع الحصري. (١٩٨٤). اراء و احاديث في الوطنية و القومية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ابو خلدون ساطع الحصري. (١٩٨٥). ماهي القومية ابحاث ودراسات على ضوء الاحداث و النظريات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

احمد ابراهيم الشعراوي. (١٩٧٠). الاقطاع و اوربا في العصور الوسطى. القاهرة: المطبعة العالمية.

احمد علي عجيبي. (٢٠٠٤). أثر الكنيسة على الفكر الاوروبي. القاهرة: دار الافاق العربية.

احمد علي علي عجيبة. (١٩٩١). البابوية و سيطرتها على الفكر الاوربي في العصور الوسطى. طنطا.

اريك هوبسبام. (١٩٩٢). امم و قوميات منذ ١٧٨٠. نيويورك: دار فيتنج.

اسحاق عبيد. (١٩٧٢). الامبراطورية الرومانية بين الدين و البربرية. بيروت: دار المعارف.

اسحاق عبيد. (١٩٧٨). محاكم التفتيش نشأتها و تطورها. بيروت: دار المعارف.

اندريه لالاند. (٢٠٠١). موسوعة لالاند الفلسفية. بيروت: منشورات عويدات.

بنديكت اندرسون. (٢٠١٤). الجماعات المتخيلة تأملات في اصل القومية و انتشارها. بيروت: المركز العربي للابحاث و دراسة السياسات.

توفيق الطويل. (١٩٧٩). قصة الصراع بين الدين و الفلسفة. القاهرة: دار النهضة العربية.

جان إلياس. (١٩٨٥). الكنيسة والدولة في أوروبا العصور الوسطى. بيروت: دار النهضة.

حسن زغير حزم. (٢٠٢١). تاريخ اوروبا في عصر النهضة. بغداد: جامعة المستنصرية.

حسن زغير حزيم. (١٩٨٠). تاريخ اوروبا في عصر النهضة. التاريخ. بغداد: جامعة المستنصرية.

رأفت عبد الحميد. (١٩٦٧). الدولة و الكنيسة. اسكندرية: دار قلم للطباعة و النشر و التوزيع.

رونالد ستر ومبرج. (١٩٩٤). تاريخ الفكر الاوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧. القاهرة: دار القارى العربي.

س. ورن هلستر. (١٩٨٨). اوربا في العصور الوسطى. بورسعيد: مكتبة الانجلو المصرية.

ساطع الحصري. (١٩٨٥). ماهي القومية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ستيفن رانسيمان. (١٩٩٤). تاريخ الحملات الصليبية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سعيد عبدالفتاح عاشور. (١٩٧٦). تاريخ اوروبا العصور الوسطى. بيروت: دار النهضة العربية.

سعيد عبدالفتاح عاشور. (٢٠٠٦). الجامعات الاوربية في العصور الوسطى. القاهرة: دار الفكر العربي.

سوزان سكوت و كريستوفر دنكان. (٢٠١٧). عودة الموت الاسود اخطر قاتل على مر العصور. المملكة المتحدة: هنداوي.

طارق البشرى. (٢٠١١). الدولة و الكنيسة. القاهرة: دار الشروق.

عبدالقادر احمد اليوسف. (١٩٦٧). العصور الوسطى الاوروبية ٤٧٦-١٥٠٠. بيروت.

عصمت نصار. (٢٠٠٨). فلسفة اللاهوت المسيحي. دار الهداية للطباعة و النشر و التوزيع .

فردريك هرتز. (٢٠١١). القومية في السياسة و التاريخ. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

محمد ابو زهرة. (١٩٧٧). محاضرات في النصرانية. القاهرة: دار الفكر العربي.

محمد البهي. (١٩٧٨). الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة. الرياض: مكتبة وهبة.

محمد الغزالي. (د.ت). حقيقة القومية العربية و اسطورة البعث العربي. القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة و النشر.

محمد سعيد غازي. (٢٠١٥). المجاعة الكبرى. مصر: دار العلوم العربية للنشر و الاعلام.

محمد فؤاد شكري. (٢٠١٣). الصراع بين الطبقة البرجوازية و الاقطاع. القاهرة: هنداوي.

محمد فؤاد شكري. (٢٠١٧). الصراع بين البرجوازية و الاقطاع مجلد ١. لندن: مؤسسة الهنداوي.

محمد يوسف ابراهيم. (د.ت). بدايات ظهور الدول القومية في اوربا. صلاح الدين: كلية التربية / جامعة تكريت.

نور الدين حاطوم. (١٩٨٥). عصر النهضة الاوربية. دمشق: دار الفكر.

هـ. سانت ل. ب. موس. (١٩٩٨). ميلاد العصور الوسطى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

هـ. و. ديفز. (١٩٥٨). اوربا في عصور الوسطى. الاسكندرية: دار المعارف.

هربرت فيشر. (١٩٦٥). اصول التاريخ الاوروبي الحديث. بيروت: دار المعارف.

هنري بيرن. (١٩٩٦). تاريخ اوروبا في العصور الوسطى(الحياة الاقتصادية و الاجتماعية). اقاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ول ديورانت. (١٩٧٣). قصة الحضارة مج٤ ج١(عصر الايمان). القاهرة: لجنة التاليف و الترجمة و النشر .

ياكوب بوركهارت. (٢٠٠٥). حضارة عصر النهضة. القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

يان دوبراتشينسكي. (٢٠٠٧). اوروبا المسيحية زمن المسيحيين الفاترين. دمشق: دار الحصادللطباعة و النشر.

يان دوبراتشينسكي. (٢٠٠٧). اوروبا و المسيحية تمزق الكنيسة. دمشق: دار الحصاد للطباعة و النشر.

يوهان هويزنجا. (١٩٩٨). اضمحلال العصور الوسطى دراسة لنماذج الحياة و الفكر و الفن بفرنسا و الاراضي المنخفضة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب.

Refrences:

Abu Khaldun Sati' al-Husri. (1984). Ara' wa Ahadith fi al-Wataniya wa al-Qawmiya. Beirut: Markaz Dirasat al-Wahda al-Arabiya.

Abu Khaldun Sati' al-Husri. (1985). Ma Hiya al-Qawmiya: Abhath wa Dirasat ala Daw' al-Ahdath wa al-Nazariyat. Beirut: Markaz Dirasat al-Wahda al-Arabiya.

Ahmad Ibrahim al-Sha'rawi. (1970). al-Iqta' wa Urubba fi al-Usur al-Wusta. Cairo: al-Matba'a al-Alamiya.

Ahmad Ali Ajiba. (2004). Athar al-Kanisa ala al-Fikr al-Urubbi. Cairo: Dar al-Afaq

al-Arabiya.

Ahmad Ali Ali Ajiba. (1991). al-Babawiya wa Saytaratuha ala al-Fikr al-Urubbi fi al-Usur al-Wusta. Tanta.

Eric Hobsbawm. (1992). Umam wa Qawmiyat mundhu 1780. New York: Dar Fitting.

Ishaq Ubaid. (1972). al-Imbratoriya al-Rumaniya bayna al-Din wa al-Barbarriya. Beirut: Dar al-Ma'arif.

Ishaq Ubaid. (1978). Mahakim al-Taftish: Nash'atuha wa Tatawwuruha. Beirut: Dar al-Ma'arif.

André Lalande. (2001). Mawsu'at Lalande al-Falsafiya. Beirut: Manshurat Oueidat.

Benedict Anderson. (2014). al-Jama'at al-Mutakhayyila: Ta'ammulat fi Asl al-Qawmiya wa Intishariha. Beirut: al-Markaz al-Arabi lil-Abhath.

Tawfiq al-Tawil. (1979). Qissat al-Sira' bayna al-Din wa al-Falsafa. Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya.

Jan Elias. (1985). al-Kanisa wa al-Dawla fi Urubba al-Usur al-Wusta. Beirut: Dar al-Nahda.

Hassan Zugair Hazim. (2021). Tarikh Urubba fi Asr al-Nahda. Baghdad: Jami'at al-Mustansiriya.

Hassan Zugair Hazim. (1980). Tarikh Urubba fi Asr al-Nahda (al-Tarikh). Baghdad: Jami'at al-Mustansiriya.

Rafat Abd al-Hamid. (1967). al-Dawla wa al-Kanisa. Alexandria: Dar Qalam.

Ronald Stromberg. (1994). Tarikh al-Fikr al-Urubbi al-Hadith 1601-1977. Cairo: Dar al-Qari' al-Arabi.

C. Warren Hollister. (1988). Urubba fi al-Usur al-Wusta. Port Said: Maktabat al-Anglo al-Misriya.

Sati' al-Husri. (1985). Ma Hiya al-Qawmiya. Beirut: Markaz Dirasat al-Wahda al-Arabiya.

Steven Runciman. (1994). Tarikh al-Hamalat al-Salibiya. Cairo: al-Hay'a al-Misriya al-Amma lil-Kitab.

Said Abd al-Fattah Ashour. (1976). Tarikh Urubba al-Usur al-Wusta. Beirut: Dar al-Nahda al-Arabiya.

Said Abd al-Fattah Ashour. (2006). al-Jami'at al-Urubbiya fi al-Usur al-Wusta. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.

Susan Scott & Christopher Duncan. (2017). Awdat al-Mawt al-Aswad. UK: Hindawi.

Tariq al-Bishri. (2011). al-Dawla wa al-Kanisa. Cairo: Dar al-Shorouk.

Abd al-Qadir Ahmad al-Yusuf. (1967). al-Usur al-Wusta al-Urubbiya 476-1500. Beirut.

Ismat Nassar. (2008). Falsafat al-Lahut al-Masihi. Dar al-Hidaya.

Frederick Hertz. (2011). al-Qawmiya fi al-Siyasa wa al-Tarikh. Cairo: al-Hay'a al-Amma li-Qusur al-Thaqafa.

Mohamed Abu Zahra. (1977). Muhadarat fi al-Nasraniya. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.

Mohamed al-Bahiy. (1978). al-Islam fi Hall Mashakil al-Mujtama'at al-Islamiya al-Mu'asira. Riyadh: Maktabat Wahba.

Mohamed al-Ghazali. (n.d.). Haqiqat al-Qawmiya al-Arabiya wa Usturat al-Ba'th al-Arabi. Cairo: Sharikat Nahdet Misr.

Mohamed Said Ghazi. (2015). al-Majaa al-Kubra. Egypt: Dar al-Ulum al-Arabiya.

Mohamed Fouad Shukri. (2013). al-Sira' bayna al-Tabaqa al-Burjwaziya wa al-Iqta'. Cairo: Hindawi.

Mohamed Fouad Shukri. (2017). al-Sira' bayna al-Burjwaziya wa al-Iqta' (Vol 1). London: Hindawi Foundation.

Mohamed Yusuf Ibrahim. (n.d.). Bidayat Zuhur al-Duwal al-Qawmiya fi Urubba. Salah al-Din: Jami'at Tikrit.

Nour al-Din Hatum. (1985). Asr al-Nahda al-Urubbiya. Damascus: Dar al-Fikr.

H. St. L. B. Moss. (1998). Milad al-Usur al-Wusta. Cairo: al-Hay'a al-Misriya al-Amma lil-Kitab.

H. W. C. Davis. (1958). Urubba fi al-Usur al-Wusta. Alexandria: Dar al-Ma'arif.

Herbert Fisher. (1965). Usul al-Tarikh al-Urubbi al-Hadith. Beirut: Dar al-Ma'arif.

Henri Pirenne. (1996). Tarikh Urubba fi al-Usur al-Wusta (al-Hayat al-Iqtisadiya wa al-Ijtima'iya). Cairo: al-Hay'a al-Misriya al-Amma lil-Kitab.

Will Durant. (1973). Qissat al-Hadara Vol 4 Part 1 (Asr al-Iman). Cairo: Lajnat al-Ta'lif wa al-Tarjama.

Jacob Burckhardt. (2005). Hadarat Asr al-Nahda. Cairo: al-Majlis al-A'la lil-Thaqafa.

Jan Dobraczyński. (2007). Urubba al-Masihiya Zaman al-Masihiyin al-Fatirin. Damascus: Dar al-Hasad.

Jan Dobraczyński. (2007). Urubba wa al-Masihiya: Tamazzuq al-Kanisa. Damascus: Dar al-Hasad.

Johan Huizinga. (1998). Idmihlal al-Usur al-Wusta. Cairo: al-Hay'a al-Misriya al-

Amma lil-Kitab.